

الليحة الزرقاء

كامل كيلاني



اللَّحِيَّةُ الزَّرْقَاءُ

اللَّحِيَّةُ الزَّرْقَاءُ

تأليف
كامل كيلاني



رقم إيداع ٢٠١٢ / ١٦٨٣٤

تدمك: ٥ ٠٣٠ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

رسم الغلاف: ورود الصاوي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

اللحية الزرقاء

(١) ألوان الشعر

أَتَعْرِفُ، أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ: مَا هِيَ اللَّحِيَّةُ؟
إِنَّكَ بِلا رَيْبٍ تَعْرِفُهَا، فَقَدْ رَأَيْتَ كَثِيرًا مِنْ ذَوِي اللَّحَى.
فَهَلْ تَذْكُرُ أَنَّكَ لَقَيْتَ رِجَالًا يَبْلُغُونَ نِهَآيَةَ أَعْمَارِهِمْ، دُونَ أَنْ يَنْبُتَ الشَّعْرُ عَلَى خُدُودِهِمْ
وَأَذْقَانِهِمْ؟

وَهَلْ تَذْكُرُ أَيضًا أَنَّ هُنَاكَ رِجَالًا آخَرِينَ — عَلَى الْعَكْسِ مِنْ أَوْلَيْكَ — يَنْبُتُ الشَّعْرُ
عَلَى خُدُودِهِمْ وَأَذْقَانِهِمْ عَزِيزًا كَثِيرًا، فَتَعْرُضُ لِحَاهُمْ وَتَطُولُ؟ لَا شَكَّ أَنَّكَ تَذْكُرُ هَذَا وَذَلِكَ
وَلَا تَنْسَاهُ.

فَأَمَّا الْأَوْلُونَ، فَهُمْ جُرْدٌ، لَمْ تَنْبُتْ فِي وُجُوهِهِمْ لِحَى، وَالْأَجْرَدُ هُوَ الَّذِي لَا تَنْبُتُ لَهُ
لِحِيَّةٌ، طُولَ عُمُرِهِ.

وَأَمَّا الْآخَرُونَ، فَهُمْ لِحْيَانِيُّونَ: طَوَالَ اللَّحَى عِرَاضُهَا. وَاللِّحْيَانِيُّ: مَنْ تَطَوَّلَ لِحْيَتُهُ
وَتَعْرُضُ، وَأَغْلَبَ مَا تَكُونُ اللَّحِيَّةُ: سَوْدَاءٌ فِي زَمَنِ الشَّبَابِ، بَيْضَاءٌ فِي زَمَنِ الْمَشَيْبِ.

وَطَالَمَا رَأَيْنَا كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ يَخْتَلِفُونَ مِنْ نَاحِيَةِ شَعُورِهِمْ.

فِيهِمْ: مَنْ هُوَ الْأَصْهَبُ: الْأَحْمَرُ الشَّعْرِ.

وَالْأَشْقَرُ: الَّذِي فِي وَجْهِهِ حُمْرَةٌ فِي بَيَاضٍ صَافٍ.

وَالْأَصْلَعُ: الَّذِي انْحَسَرَ الشَّعْرُ عَنْ رَأْسِهِ.

كُلُّ هَذَا رَأْيَتُهُ كَمَا رَأَيْنَاهُ، وَالْفَتْهُ كَمَا أَلْفَنَاهُ.

فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ حَلَا لَهُ أَنْ يَخْضِبَ بِالسَّوَادِ.

اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ طَابَ لَهُ أَنْ يَخْضِبَ بِالْحِنَّاءِ.
حَقًّا رَأَيْنَا لِحَى مَصْبُوعَةً سَوْدَاءَ، أَوْ حَمْرَاءَ، أَوْ صَفْرَاءَ.
وَلَكِنَّ النَّاسَ لَمْ يَصْبُغُوا شُعُورَهُمْ بِالرَّزْقَةِ أَبَدًا.
فَهَلْ تَذَكَّرُ أَنَّكَ رَأَيْتَ لِحِيَّةَ رَزْقَاءَ؟
ذَلِكَ مَا لَا عَهْدَ لِأَحَدٍ قَطُّ بِرُؤْيَيْتِهِ فِي الْمَاضِي أَوْ الْحَاضِرِ.
وَهُوَ بَعْضُ مَا يُطَالِعُنَا مِنْ غَرَائِبِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا تَنَاقَلَهَا النَّاسُ، وَلَمَا
حَرَّصُوا عَلَى رِوَايَتِهَا وَتَدْوِينِهَا.
وَكَانَ النَّاسُ يُلقِبُونَ صَاحِبَ الْقِصَّةِ، بِتِلْكَ اللَّحِيَّةِ، فَيَقُولُونَ: هَذَا هُوَ «اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ». .
وَلَا يَعْرِفُونَهُ بغيرِهَا.
فَلَمْ يَلْبَثْ — عَلَى طُولِ الْأَيَّامِ — أَنْ نُسِيَ اسْمُهُ، وَلَمْ يَبْقَ مَعْرُوفًا غَيْرَ لِقَبِّهِ، يَتَنَاقَلُهُ
بَعْضُ النَّاسِ عَن بَعْضٍ.
وَكَانَ يَكْفِي أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: جَاءَتِ اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ، لِيَفْهَمَ السَّامِعُ أَنَّهُمْ يَعْنُونَ
الرَّجُلَ، لَا اللَّحِيَّةَ!
وَكَانَ الرَّجُلُ يُضَافِقُهُ مِنَ النَّاسِ، أَنَّهُمْ لَا يَمْلُونَ أَنْ يَسْأَلُوهُ: لِمَاذَا كَانَتْ لِحِيَّتُكَ رَزْقَاءَ،
دُونَ سَائِرِ اللَّحَى؟
وَلَمْ يَكُنْ يَجِدُ مِنْ جَوَابٍ عَن هَذَا السُّؤَالِ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَلَا عَيْبَ
فِي أَنْ تَكُونَ اللَّحِيَّةُ رَزْقَاءَ أَوْ حَمْرَاءَ أَوْ بِيضَاءَ، أَوْ أَيَّ لَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ.
وَلِهَذَا عَاشَ يَكْرَهُ الْفُضُولَ، وَيَغْضَبُ مِنْ تَدَخُّلِ النَّاسِ فِيهَا لَا يَعْنِيهِمْ، وَيَرَى أَنْ مِنْ
حُسْنِ الْأَدَبِ أَنْ يَشْتَغَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ بِمَا يُفِيدُ، وَأَنْ يَحْرِصَ عَلَى شُعُورِ النَّاسِ، فَلَا يَسْأَلُهُمْ
عَن أَشْيَاءَ، رَبِّمَا تَجَرَّحَ شُعُورَهُمْ، أَوْ تُكَدِّرَ نُفُوسَهُمْ.
وَلَمْ يَكُنْ يُصَاحِبُ إِلَّا مَنْ يَعْرِفُ فِيهِ الْبُعْدَ عَنِ الْفُضُولِ، وَعَن الْإِشْتِغَالِ بِغَيْرِ مَا
يُكْسِبُهُمْ خَيْرًا، أَوْ يَجُرُّ عَلَيْهِمْ نَفْعًا.
وَقد عَزَمَ عَلَى أَنْ يَخْتَارَ زَوْجَةً لَهُ، وَأَعْلَنَ أَنَّهُ يَقْبَلُ أَيَّ امْرَأَةٍ لِلتَّرْجُوحِ بِهَا، عَلَى شَرْطِ
أَنْ يَكُونَ طَبْعُهَا مُوَافِقًا لِطَبْعِهِ، لَا تُحِبُّ الثَّرَثَرَةَ، وَلَا تُشْتَغَلُ إِلَّا بِشُؤْنِهَا الَّتِي تَنْفَعُهَا فِي
الْحَيَاةِ.

اللَّحِيَّةُ الزُّرْقَاءُ

كَانَ صَاحِبُ اللَّحِيَّةِ الزُّرْقَاءِ — الصَّافِيَّةِ فِي مِثْلِ زُرْقَةِ الْبَحْرِ — رَجُلًا كَثِيرَ الْوَفْرِ، مَنْ
أَغْنَى أَغْنِيَاءَ الْعَصْرِ.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَارِثٌ بَعْدَ مَوْتِهِ غَيْرُ مَنْ يَخْتَارُهَا زَوْجَةً لَهُ.
فَلَا عَجَبٌ إِذَا رَأَيْنَا قُصُورَهُ الْفَاحِشَةَ، وَحَدَائِقَهُ النَّاصِرَةَ، وَنَفَائِسَهُ النَّادِرَةَ، تَلَفَتْ إِلَيْهِ
أَنْظَارَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، عَلَى السَّوَاءِ.



(٢) الزَّوْجَةُ الْمُخْتَارَةُ

كَانَ بَيْتُ «اللَّحِيَّةِ الرَّزْقَاءِ» فِي الْمَدِينَةِ يُجَاوِرُ بَيْتًا لِأَسْرَةٍ كَرِيمَةٍ، وَفِي هَذَا الْبَيْتِ أُخْتَانِ مُتَقَارِبَتَانِ فِي سِنِّ الشَّبَابِ، وَكُلُّهُمَا وَافِرَةٌ الْحَظُّ مِنَ الْجَمَالِ، مُتَحَلِّيَّةٌ بِمَحَاسِنِ الْخِصَالِ، يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْحَيِّ بِعَيْنِ الْإِعْجَابِ وَالتَّكْرِيمِ.

وَرَأَى صَاحِبُ لَقَبِ اللَّحِيَّةِ الرَّزْقَاءِ أَنَّ يَتَّجِهَ بِرَغْبَتِهِ إِلَى اخْتِيَارِ إِحْدَاهُمَا زَوْجَةً لَهُ، وَطَمَحَتْ نَفْسُهُ أَنْ يَظْفَرَ بِالْكُبْرَى مِنْهُمَا أَوِ الصُّغْرَى، فَكُلُّهُمَا جَدِيدَةٌ أَنْ تُسْعِدَ مَنْ يَخْتَارُهَا لِتَكُونَ شَرِيكَةً حَيَاتِهِ، وَرَفِيقَةً عُمُرِهِ.

وَكَانَ لِلرَّجُلِ قَصْرٌ عَظِيمٌ فِي الرَّيْفِ، غَيْرُ بَعِيدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ؛ فَخَطَرَتْ لَهُ فِكْرَةٌ، هِيَ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ زِيَارَةِ قَصْرِهِ فِي الرَّيْفِ وَسِيلَةً إِلَى الْمَزِيدِ مِنَ التَّعَرُّفِ إِلَى الْفَتَاتَيْنِ، وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِمَا.

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَجَّهَ الدَّعْوَةَ إِلَيْهِمَا مَعًا، لِتَقْضِيَا مَعَ أُسْرَتِهِمَا أَيَّامَ الْعِيدِ فِي قَصْرِهِ الرَّيْفِيِّ، بِإِذْنِ كُلِّ وَوَسْعِهِ فِي تَكْرِيمِهِمَا.

وَاسْتِطَاعَ بِحُسْنِ حَدِيثِهِ، وَلُطْفِ مُعَامَلَتِهِ، أَنْ يُغْرِيَ الْفَتَاةَ الصُّغْرَى بِقَبُولِ زَوَاجِهَا بِهِ، وَفَرَحَ اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ بِبُلُوغِ مَأْرَبِهِ.

وَنَمَّتْ مَرَامُ الزَّوْاجِ، وَأَقِيمَتِ الْأَفْرَاحُ، وَاللِّيَالِي الْمِلَاحُ.

(٣) مَفَاتِيحُ الْكُنُوزِ

عَاشَتْ الزَّوْجَةُ «نَجَاةً» فِي قَصْرِ زَوْجِهَا «اللَّحِيَّةِ الرَّزْقَاءِ».

وَلَمْ يَمُضْ وَقْتُ قَلِيلٍ، حَتَّى عَهَدَ الزَّوْجُ إِلَى «نَجَاةٍ» بِمَفَاتِيحِ قَصْرِهَا كُلِّهَا؛ لِتَنْعَمَ بِالْعَيْشِ فِيهِ، وَلِتَتَصَرَّفَ فِيمَا يَحْوِيهِ مِنْ كُنُوزٍ وَنَفَائِسَ، فَلَمَّا تَوَجَّدَ فِي خَزَائِنِ الْمُلُوكِ.

فَلَمْ تَقْصُرْ «نَجَاةً» فِي شُكْرِهِ، لِمَا غَمَرَهَا مِنْ عَطْفِهِ وَبِرِّهِ.

فَرَبَّتْ كَتَفَيْهَا، وَقَالَ: «وَلَكِنَّ لِي عِنْدَكَ رَجَاءٌ وَاحِدًا يَا زَوْجَتِي الْعَزِيزَةَ، فَهَلْ تُجِيبِينَنِي إِلَيْهِ، عَنْ طَوَاعِيَةٍ؟»

فَقَالَتْ لَهُ «نَجَاةً»: «مَا كُنْتُ لِأَعْصِي لَكَ أَمْرًا!»

فَقَالَ لَهَا، وَفِي لَهَجَتِهِ رُوحَ التَّخْوِيفِ وَالتَّحْذِيرِ: «إِنَّ حُجْرَاتِ الْقَصْرِ كُلِّهَا — بِمَا تَحْوِيهِ — مِلْكٌ لِكَ وَحَدِّكَ، لَا يُبَايَعُكَ فِيهَا أَحَدٌ، مَا عَدَا حُجْرَةَ وَاحِدَةً، أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَلَا



تَفَكَّرِي فِي دُخُولِهَا، وَهِيَ الَّتِي يَنْتَهِي عِنْدَهَا سِرْدَابُ الْقَصْرِ تَحْتَ الْأَرْضِ ... وَقَدْ أَعْطَيْتُكَ
مِفْتَاحَهَا، ثِقَّةً بِأَمَانَتِكَ وَفِطْنَتِكَ. فَإِيَّاكَ أَنْ يَدْفَعَكَ الْفُضُولُ إِلَى فَتْحِ هَذِهِ الْحُجْرَةِ، فَتُعَرِّضِي
نَفْسَكَ لِأَشَدِّ النَّكَبَاتِ وَالنِّقَمِ، وَتَنْدِمِي حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدْمُ.»
فَقَالَتْ لَهُ «نَجَاةٌ»: «لَنْ تَرَى مِنِّي غَيْرَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ.»

(٤) حُجْرَةُ السَّرْدَابِ

وَكَانَ صَاحِبُنَا قَدْ عَزَمَ عَلَى السَّفَرِ ... وَمَا إِنْ ابْتَعَدَ عَنِ الْقَصْرِ حَتَّى اسْتَعَادَتْ «نَجَاءً»
مَا سَمِعَتْهُ مِنْهُ. فَلَمْ يَزِدْهَا تَحْذِيرُهُ إِلَّا رَغْبَةً فِي رُؤْيَةِ الْحُجْرَةِ، الَّتِي حَذَّرَهَا زَوْجُهَا مِنْ
دُخُولِهَا.



اللَّحِيَّةُ الرَّزَقَاءُ

وَاشْتَدَّتْ بِهَا اللَّهْفَةُ، فَأَلَقَتْ بِالْمَفَاتِيحِ، وَلَمْ تُبْقِ مَعَهَا غَيْرَ مِفْتَاحِ تِلْكَ الْحُجْرَةِ. وَأَعْجَزَهَا الْفُضُولُ عَنِ الْوَفَاءِ بَعْدِهَا، فَاذْفَعَتْ إِلَى سِرْدَابِ الْقَصْرِ، تَجْرِي بِأَقْصَى سُرْعَتِهَا، مُتَعَثِّرَةً بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ، غَيْرَ مُبَالِيَةٍ بِأَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ. وَلَمَّا بَلَغَتْ آخَرَ السَّرْدَابِ، وَقَفَتْ حَائِرَةً مُتَرَدِّدَةً أَمَامَ الْبَابِ، ثُمَّ اذْفَعَتْ إِلَيْهِ تَفْتَحُهُ، لِتَعْرِفَ مَا وَرَاءَهُ.

وَدَارَتْ نَظْرَاتُهَا فِي الْحُجْرَةِ، فَلَمْ تَرَ إِلَّا ظُلَامًا. كَانَتْ نَوَافِدُ الْحُجْرَةِ مُغْلَقَةً ... فَامْتَدَّتْ يَدَهَا إِلَى نَافِذَةٍ، وَفَتَحَتْ جَانِبًا مِنْهَا، فَانْتَشَرَ الضُّوءُ، فَلَمْ تَرَ «نَجَاءً» شَيْئًا، إِلَّا مِرَاءً طَوِيلَةً عَلَيْنَهَا صُورَةَ امْرَأَةٍ؛ فَتَعَجَّبَتْ أَشَدَّ الْعَجَبِ، وَجَعَلَتْ تَسْأَلُ نَفْسَهَا: مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ؟! وَلِمَاذَا هِيَ مُصَوَّرَةٌ عَلَى وَجْهِ الْمِرَاءَةِ؟ وَلِمَاذَا هِيَ مُحْبُوسَةٌ فِي حُجْرَةِ السَّرْدَابِ عَلَى هَذَا النِّحْوِ؟ وَلِمَاذَا كُنْتُمْ زَوْجُهَا سَرَّ هَذِهِ الْحُجْرَةِ؟ لَمْ تَجِدْ لِهَذِهِ الْأَسْئَلَةِ جَوَابًا، وَلَمْ تَمْلِكْ إِلَّا أَنْ تَلْقِي عَلَى الْحُجْرَةِ نَظْرَاتٍ اسْتِعْرَابٍ، وَخَرَجَتْ مِنْهَا، بَعْدَ أَنْ أَغْلَقَتْهَا بِالْمِفْتَاحِ.

وَكَانَتْ أُخْتُهَا الْكُبْرَى «حَيَاءً» قَدْ حَضَرَتْ لِزِيَارَتِهَا، فَأَخْبَرَتْهَا «نَجَاءً» بِمَا فَعَلَتْ. فَغَضِبَتْ «حَيَاءً»، وَوَلَمَتْ أُخْتَهَا عَلَى أَنَّهَا أَقْدَمَتْ عَلَى فَتْحِ الْحُجْرَةِ الَّتِي وَعَدَتْ زَوْجَهَا «اللَّحِيَّةُ الرَّزَقَاءُ» بِأَنَّهَا لَنْ تَفْتَحَهَا أَبَدًا، وَأَظْهَرَتْ لَهَا أَنَّهَا تَسْتَنْكِرُ عَمَلَهَا. وَبَعْدَ أَيَّامٍ حَضَرَ الزَّوْجُ، وَوَلَّحَظَ ارْتِبَاكَ الْأُخْتَيْنِ، وَتَفَرَّسَ فِي وَجْهِ زَوْجَتِهِ «نَجَاءً»، فَأَذْرَكَ أَنَّ شَيْئًا قَدْ حَدَثَ.

وَمَا زَالَ الزَّوْجُ بِزَوْجَتِهِ، حَتَّى أَفْضَتْ لَهُ بِمَا جَرَى. وَمَا كَادَ يَسْمَعُ، حَتَّى اشْتَدَّ بِهِ الْغَضَبُ، إِذْ عَرَفَ أَنَّ زَوْجَتَهُ قَدْ غَلَبَهَا الْفُضُولُ، وَأَخْفَقَتْ فِي امْتِحَانِهِ لَهَا.

وَقَالَ لِزَوْجَتِهِ «نَجَاءً» وَهُوَ يَضْرِبُ كَفًّا بِكَفِّ: «لَقَدْ خُنْتِ الْعَهْدَ، وَلَمْ تَبْرِي بِالْوَعْدِ، وَلَا بَدَّ أَنْ تَلْقِي جَزَاءَكَ. إِنَّكَ دَخَلْتَ الْحُجْرَةَ، وَسَأَحْبِسُكَ فِيهَا، لِتَكُونِي مَعَ الصُّورَةِ الَّتِي فِي وَجْهِ الْمِرَاءَةِ، مَا بَقِيَتْ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ.»

وَاحْوَلَتْ الْأُخْتُ «حَيَاءً» أَنْ تَتَرَضَّى الزَّوْجَ «اللَّحِيَّةُ الرَّزَقَاءُ» لِیَغْفِرَ لِزَوْجَتِهِ «نَجَاءً» مَا صَنَعَتْ ... فَلَمْ يَقْبَلِ السَّمَاحَ!



(٥) فِي سُرْفَةِ الْبُرْجِ

وَكَانَتْ «نَجَاء» قَدْ عَرَفَتْ مِنْ أُخْتِهَا «حَيَاة» أَنَّ أَحْوِيهَا «رَجَاء» وَ«ضِيَاء» حَاضِرَانِ عِنْدَهَا
الْيَوْمَ، فَبَدَلَتْ «نَجَاء» جُهْدَهَا مَعَ زَوْجِهَا «اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ»، لِيُوَخَّرَ تَنْفِيدَ الْعُقُوبَةِ.
اسْتَمَهَلَتْهُ، فَلَمْ يُمْهَلْهَا أَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ، تَصَلَّى لِرَبِّهَا، وَتَسْتَغْفِرُهُ مِنْ ذَنْبِهَا، قَبْلَ أَنْ
تُسَلِّمَ نَفْسَهَا لِعُقُوبَةِ زَوْجِهَا الْغَضْبَانِ.

اللَّحِيَّةُ الرَّزَقَاءُ

فَصَعِدَتْ «نَجَاةٌ» مَعَ أُخْتَيْهَا: «حَيَاةٌ»، إِلَى بُرْجِ الْقَصْرِ، وَطَلَبَتْ مِنْ أُخْتَيْهَا «حَيَاةٌ» أَنْ تَقِفَ فِي أَعْلَى شُرْفَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْبُرْجِ، لِتُخْبِرَهَا بِقُدُومِ أَخَوَيْهَا: «رَجَاءٍ» وَ«ضِيَاءٍ»، حِينَ تَرَى شَبَحَيْهِمَا عَلَى الطَّرِيقِ.

وَطَلَّتْ «نَجَاةٌ» تَسْأَلُهُمَا عَنْهُمَا بَيْنَ فِتْرَةٍ وَأُخْرَى، دَاعِيَةً اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَ أَخَوَيْهَا — حِينَمَا يَحْضُرَانِ — إِلَى إِقْنَاعِ الرَّوْجِ التَّائِرِ بِالْعُدُولِ عَنْ إِنْزَالِ الْعُقُوبَةِ بِأُخْتَيْهَا «نَجَاةٌ».

وَكَانَ رُؤُوسُهُمَا يَصْرُخُ بَيْنَ حَيْنٍ وَآخَرَ، يَتَعَجَّلُهَا أَنْ تَنْزِلَ إِلَيْهِ، لِيَذْهَبَ بِهَا إِلَى حُجْرَةِ السَّرْدَابِ، وَيَحْبِسَهَا فِيهَا مَعَ صُورَةِ الْمَرْأَةِ.

وَبَيْنَمَا كَانَتِ الْأُخْتَانِ مَشْغُولَتَيْنِ بِارْتِقَابِ حُضُورِ الْأَخَوَيْنِ، وَالرَّوْجِ يَنْتَظِرُ نُزُولَ رُؤُوسِهِمَا إِلَيْهِ، دَارَ الْحِوَارُ التَّالِي:

(٦) الْحِوَارُ الْأَخِيرُ

الرَّوْجُ:

تَعَجَّلِي، تَعَجَّلِي أَنْ الْأَوَانُ فَانزِلِي

نَجَاةٌ (تَصْرُخُ مُسْتَعِظَفَةً):

نازلةً، يا سيدي بعد انقضاء الموعد

(وَتَسْأَلُ أُخْتَهَا بِصَوْتٍ خَافِتٍ):

... .. ماذا تَرَيْنَ الْآنَا؟

حَيَاةٌ:

... .. لَسْتُ أَرَى سِوَانَا

كَمَا أَرَى الْفَضَاءَ وَالْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ

اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ

وَالْمَاءَ وَالضِّيَاءَ وَالذَّوْحَةَ الْخَضْرَاءَ

نَجَاةٌ (مُتَأَلِّمَةٌ):

وَلَنْ تَرَى غَيْرَ الشَّجَرِ مُحَمَّلَاتٍ بِالتَّمْرِ

حَيَاةٌ:

وَالْيَاسَمِينَ وَالزَّهْرَ بَيْنَ الْغَدِيرِ وَالنَّهْرِ

الزُّوجُ:

تَعَجَّلِي، تَعَجَّلِي أَنْ الْأَوَانُ فَاَنْزِلِي

نَجَاةٌ (لِلزُّوجِ):

نَازِلَةٌ، يَا سَيِّدِي بَعْدَ انْقِضَاءِ الْمُوعِدِ

(لِأُخْتِهَا):

اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ صَاخِبَةٌ هُوَجَاءُ
مَاذَا تَرِينَ الْأَنَا؟

حَيَاةٌ:

... .. لَسْتُ أَرَى سِوَانَا
كَمَا أَرَى الْفَضَاءَ وَالْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ
وَالْمَاءَ وَالضِّيَاءَ وَالذَّوْحَةَ الْخَضْرَاءَ

اللَّحِيَّةُ الزَّرْقَاءُ

نَجَاةٌ:

وَلَنْ تَرَى غَيْرَ الشَّجَرِ مُحَمَّلَاتٍ بِالتَّمَرِ

حَيَاةٌ:

وَالْيَاسَمِينَ وَالزَّهْرَ بَيْنَ الْغَدِيرِ وَالنَّهْرِ

الزُّوجُ:

تَعَجَّلِي، تَعَجَّلِي أَنْ الْأَوَانُ فَاَنْزِلِي

نَجَاةٌ (للزُّوجِ):

نَازِلَةٌ، يَا سَيِّدِي بَعْدَ انْقِضَاءِ الْمَوْعِدِ

(لأُحْنَتِهَا):

اللَّحِيَّةُ الزَّرْقَاءُ صَاخِبَةٌ هَوَجَاءُ
يَا رَبِّ ضَاقَتْ حِيلَتِي فَانجِّبِي مِنْ كُرْبَتِي
مَاذَا تَرَيْنَ الْأَنَا؟

حَيَاةٌ:

...
كَمَا أَرَى الْفَضَاءَ لَسْتُ أَرَى سِوَانَا
وَالْمَاءَ وَالضِّيَاءَ وَالْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ
وَالدَّوْحَةَ الْخَضْرَاءَ

اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ

نَجَاةٌ:

وَلَنْ تَرَى غَيْرَ الشَّجَرِ مُحَمَّلَاتٍ بِالتَّمْرِ

حَيَاةٌ:

وَالْيَاسَمِينَ وَالزَّهْرَ بَيْنَ الْغَدِيرِ وَالنَّهْرِ

الزُّوجُ:

تَعَجَّلِي، تَعَجَّلِي أَنْ الْأَوَانُ فَانزِلِي

نَجَاةٌ (للزُّوجِ):

نَازِلَةٌ، يَا سَيِّدِي بَعْدَ انْقِضَاءِ الْمَوْعِدِ

(لأُخْتِهَا):

اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ ثَائِرَةٌ هَوَجَاءُ
«حَيَاةٌ» يَا «حَيَاةٌ» قَدْ هَلَكْتُ «نَجَاةٌ»
أَلَمْ يَجِئْ «رَجَاءُ»؟ أَلَمْ يَجِئْ «ضِيَاءُ»؟
مَاذَا تَرَيْنَ الْآنَا؟

حَيَاةٌ:

...
كَمَا أَرَى الْفَضَاءَ لَسْتُ أَرَى سِوَانَا
وَالْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ

اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ

نَجَاةٌ:

وَلَنْ تَرَى غَيْرَ الشَّجَرِ مُحَمَّلَاتٍ بِالتَّمْرِ

حَيَاةٌ:

وَالْيَاسَمِينَ وَالزَّهْرَ بَيْنَ الْغَدِيرِ وَالنَّهْرِ

الزُّوجُ:

تَعَجَّلِي، تَعَجَّلِي أَنْ الْأَوَانُ فَانزِلِي

نَجَاةٌ (للزُّوجِ):

نَازِلَةٌ، يَا سَيِّدِي بَعْدَ انْقِضَاءِ الْمَوْعِدِ

(لأُخْتِهَا):

اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ صَاحِبَةٌ هُوَجَاءُ
مَاذَا تَرِينَ الْآنَا؟

حَيَاةٌ:

... .. لَسْتُ أَرَى سِوَانَا
هَذَا الْغُبَارُ قَاتِمًا!

نَجَاةٌ:

... .. فَمَنْ تَرِينَ قَآدِمًا؟

اللَّحِيَّةُ الرَّزَقَاءُ



... .. تَأْمَلِي، تَأْمَلِي

حَيَاةُ:

... .. أَرَى الْغُبَارَ يَنْجَلِي

اللَّحِيَّةُ الزَّرْقَاءُ

نَجَاةٌ:

لَعَلَّهُ «رَجَاءٌ» أَقْبَلَ، أَوْ «ضِيَاءٌ»؟

حَيَاةٌ:

بَلْ ثُلَّةٌ مِنَ الْغَنَمِ يَسُوقُهَا شَيْخٌ هَرِمٌ

الزُّوجُ:

تَعَجَّلِي، تَعَجَّلِي أَنْ الْأَوَانُ فَاَنْزِلِي

نَجَاةٌ (للزُّوجِ):

نَاذِلَةٌ، يَا سَيِّدِي بَعْدَ انْقِضَاءِ الْمَوْعِدِ

(لأُخْتِهَا):

اللَّحِيَّةُ الزَّرْقَاءُ ثَائِرَةٌ هَوَّجَاءُ
دَبَّ إِلَيَّ الْيَأْسُ وَضَاقَتِ الْأَنْفَاسُ
رُحْمَاكَ يَا رَبَّاهُ

حَيَاةٌ:

فَرُبَّمَا جَاءَ الْفَرْجُ
مِنْ حَيْثُ يَشْتَدُّ الْحَرْجُ لا بَأْسَ يَا أُخْتَاهُ

الرَّوْجُ:

تَعَجَّلِي، تَعَجَّلِي أَنْ الْأَوَانُ فَانزِلِي

نَجَاةٌ (لِلرَّوْجِ):

نازِلَةٌ، يَا سَيِّدِي بَعْدَ انْقِضَاءِ الْمَوْعِدِ

(لِلْأُخْتِهَا):

اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ صَاخِبَةٌ هَوَّجَاءُ
«حَيَاةٌ» يَا «حَيَاةٌ» قَدْ هَلَكْتَ «نَجَاةٌ»
رُحْمَاكَ يَا رَبَّاهُ

حَيَاةٌ:

الصَّبْرُ يَا أُخْتَاهُ

الرَّوْجُ:

تَعَجَّلِي، تَعَجَّلِي أَنْ الْأَوَانُ فَانزِلِي

نَجَاةٌ (لِلرَّوْجِ):

نازِلَةٌ، يَا سَيِّدِي بَعْدَ انْقِضَاءِ الْمَوْعِدِ

(لِلْأُخْتِهَا):

اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ ثَائِرَةٌ هَوَّجَاءُ

اللَّحِيَّةُ الرَّزَقَاءُ



... .. تُرَدُّ النِّدَاءُ

حَيَاةُ:

... .. لَا تَفْقِدِي الرَّجَاءَ

نَجَاةُ:

... .. مَاذَا تَرِيَنِ الْآنَا؟

اللَّحِيَّةُ الرَّزَقَاءُ

حَيَاةٌ:

... ..
لَسْتُ أَرَى سِوَانَا!
... .. هَذَا الْغُبَارُ قَاتِمَا

نَجَاةٌ:

... ..
فَمَنْ تَرَيْنَ قَادِمًا؟
... .. تَأْمَلِي، تَأْمَلِي

حَيَاةٌ:

... ..
أَرَى الْغُبَارَ يَنْجَلِي
هَذَانِ فَارِسَانَ
لَا شَكَّ، قَادِمَانِ
قَدْ أَقْبَلَا عَلَيْنَا
وَأَسْرَعَا إِلَيْنَا

(يُدَوِّي صَوْتُ الزَّوْجِ كَالرَّعْدِ).

نَجَاةٌ:

... ..
اللَّحِيَّةُ الرَّزَقَاءُ
صَارِحَةً هَوَّجَاءُ
... .. رُحْمَاكَ يَا رَبَّاهُ

حَيَاةٌ:

... ..
بُشْرَاكَ يَا أُخْتَاهُ

(يَشْتَدُّ غَضَبُ الزَّوْجِ، وَيَتَعَالَى صِيَاحُهُ).

اللَّحِيَّةُ الزَّرْقَاءُ

نَجَاةٌ:

اللَّحِيَّةُ الزَّرْقَاءُ ثَائِرَةٌ هَوْجَاءُ
تُرَدُّ النَّدَاءُ

حَيَاةٌ:

... .. لا تُفْقِدِي الرَّجَاءَ

(وَهُنَا يُسْرِعُ الزَّوْجُ صَارِحًا):

تَعَجَّلِي، تَعَجَّلِي آنَ الْأَوَانُ فَاذْبَلِي

نَجَاةٌ:

... .. الْعَفْوُ عِنْدَ الْمُقَدَّرِ

الزَّوْجُ:

... .. هَيْهَاتَ مِنِّي الْمَغْفِرَةَ

يَيْسَتْ «نَجَاةٌ» مِنْ حُضُورِ أَخَوَيْهَا: «رَجَاءٌ» و«ضِيَاءٌ». وَتَكَرَّرَ نِدَاءُ زَوْجِهَا لَهَا، بَعْدَ انْقِضَاءِ الْمَوْعِدِ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ «نَجَاةٌ» أَنْ تَنْتَظِرَ وَقْتًا أَطْوَلَ مِمَّا انْتَظَرْتَ، وَهَمَّتْ بِأَنْ تَنْزِلَ إِلَى زَوْجِهَا «اللَّحِيَّةُ الزَّرْقَاءُ»، تُحَاوِلُ أَنْ يُسَامِحَهَا فِيمَا فَعَلَتْ، وَلَا يَذْهَبُ بِهَا إِلَى حُجْرَةِ السَّرْدَابِ. وَفَجْأَةً سَمِعَتْ صَوْتَ أُخْتِهَا «حَيَاةٌ» عَالِيًا.

نَجَاةٌ:

... .. لُطْفَكَ يَا رَبِّي

حَيَاةٌ:

... ..
 بِشْرَاكِ يَا أُخْتَاهُ
 يَتَّبِعُهُ «ضِيَاءٌ»
 جَاءَ لِیُنْقِذَانَا
 اللَّهُ قَدْ أَعَانَا

نَجَاةٌ:

اللَّهُ قَدْ نَجَانَا
 وَعَيْنُهُ تَرَعَانَا

حَيَاةٌ:

نَجَى مِنَ الشَّقَاءِ
 وَالْخَوْفِ وَالْبَلَاءِ

فَلَمَّا حَصَرَ الْأَخْوَانَ «رَجَاءٌ» وَ«ضِيَاءٌ» اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِمَا الدَّهْشَةُ، حِينَ رَأَى كُلُّ مِنْهُمَا
 أُخْتَهُ «نَجَاةً»، وَرَوَّجَهَا مُمَسِكٌ بِهَا فِي غَيْظٍ وَغَضَبٍ، وَعَيْنَاهُ يَقْدَحُ مِنْهُمَا الشَّرَّ.
 سَأَلَ «رَجَاءٌ» الزَّوْجَ «اللَّحِيَّةَ الزَّرْقَاءَ»: مَاذَا فِي الْأَمْرِ؟
 فَأَخْبَرَهُ الزَّوْجُ بِأَنَّ أُخْتَهُ لَمْ تَفِ بِالْعَهْدِ، وَلَمْ تَبْرِّ بِالْوَعْدِ، وَغَلَبَ عَلَيْهَا الْفُضُولُ،
 وَتَدَخَّلَتْ فِيمَا لَا يَعْنِيهَا.
 فَقَالَ لَهَا «ضِيَاءٌ»: «لِمَاذَا أَعْصَبْتَ اللَّحِيَّةَ الزَّرْقَاءَ يَا أُخْتَاهُ؟ وَكَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونِي
 وَفِيَّ بِعَهْدِكَ، بَارَّةً بِوَعْدِكَ.»
 فَتَأَسَّفَتْ «نَجَاةٌ» وَقَالَتْ لِأَخْوَيْهَا: «هَذِهِ غَلَطْتِي أَوَّلَ مَرَّةٍ ... وَسَتَكُونُ آخِرَ مَرَّةٍ.
 وَكَفَى مَا أَنَا فِيهِ مِنْ نَدَمٍ عَلَيَّ مَا فَعَلْتُ.»
 فَلَمَّا سَمِعَ الزَّوْجُ «اللَّحِيَّةَ الزَّرْقَاءَ» ذَلِكَ، طَابَتْ نَفْسُهُ بِمَا قَالَتْهُ زَوْجَتُهُ لَهُ. وَقَالَ
 لِلْأَخْوَيْنِ «رَجَاءٌ» وَ«ضِيَاءٌ»: «إِذَا كَانَتْ «نَجَاةٌ» قَدْ عَرَفَتْ غَلَطَتَهَا، وَنِدِمَتْ عَلَيَّ فَعَلَّتْهَا،
 فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْعَلُنِي أَسَامِحَهَا، وَعَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ فِي قَابِلِ أَيَّامِهَا، حَافِظَةً لِعَهْدِهَا، مُنْفِذَةً
 لْوَعْدِهَا، لَا تَسْمَحُ لِلْفُضُولِ أَنْ يُغْرِبَهَا بِالتَّدَخُّلِ فِيمَا لَا يَعْنِيهَا.»

اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ



وَتَعَهَّدَتْ «نَجَاةً» بِذَلِكَ أَمَامَ أَخَوَيْهَا: «رَجَاءٍ» وَ«ضِيَاءٍ»، وَأَخْتَهَا «حَيَاةً»، وَزَوْجَهَا: «اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ».

وَقَالَ الْفَتَى «ضِيَاءً» لِلزَّوْجِ «اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ» بَعْدَ أَنْ هَدَأَ: «وَأَنْتِ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ، لَا تَجْعَلِ الْغَضَبَ يَمْلِكُ عَلَيْكَ نَفْسَكَ، فَيَدْفَعُكَ إِلَى الشَّرِّ وَالْأَذْيَةِ. فَإِنَّ الْجَلْمَ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ.»
فَقَالَ الزَّوْجُ «اللَّحِيَّةُ الرَّزْقَاءُ»، مُعَقِّبًا عَلَى قَوْلِ «ضِيَاءٍ»: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَيَأُ مَجِيئَكَ
— أَنْتِ وَأَخِيكَ «رَجَاءً» — فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْحَاسِمَةِ، فَكَانَ قُدُومُكُمْ بَشِيرًا بِانْتِهَاءِ الْعِدَاوَةِ
وَالْخِصَامِ، وَحُلُولِ الْوِثَامِ وَالسَّلَامِ.»

وَأَمَّضَتِ الْأُسْرَةَ بَاقِي يَوْمِهَا فِي سُرُورٍ وَهَنَاءٍ، وَمَحَبَّةٍ وَصَفَاءٍ.

يُجَاب مِمَّا فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْآتِيَةِ:

- (س ١) ماذا عرِفْتَ مِنْ مَعْنَى: الأُحْرَد، والأَجْرَد، واللَّحْيَانِي؟
- (س ٢) ماذا عرِفْتَ مِنْ مَعْنَى: الأَصْهَب، والأَشْتَر، والأُصْلَع؟
- (س ٣) ما هي الألوانُ المَعْرُوفَةُ الَّتِي تُصْبَغُ بِهَا اللَّحَى؟
- (س ٤) لماذا غَضِبَ صَاحِبُ «اللَّحِيَّةِ الزَّرْقَاءِ» مِنَ السُّؤَالِ عَنِ زُرْقَةِ لِحْيَتِهِ؟
- (س ٥) ما الصِّفَةُ الَّتِي يُفْضِلُهَا صَاحِبُ «اللَّحِيَّةِ الزَّرْقَاءِ»؟
- (س ٦) لماذا اتَّجَهَتْ أَنْظَارُ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ إِلَى صَاحِبِ اللَّحِيَّةِ الزَّرْقَاءِ؟
- (س ٧) ماذا صَنَعَ صَاحِبُ «اللَّحِيَّةِ الزَّرْقَاءِ»، لِيَتَعَرَّفَ إِلَى الأُخْتَيْنِ وَيَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا؟
- (س ٨) ما الأَمْرُ الَّذِي طَلَبَ صَاحِبُ «اللَّحِيَّةِ الزَّرْقَاءِ» مِنْ زَوْجَتِهِ «نَجَاةً» أَلَّا تَفْعَلَهُ؟
- (س ٩) ماذا رَأَتْ الزَّوْجَةُ فِي الحُجْرَةِ الَّتِي نُهِيتَ عَنْ دُخُولِهَا؟
- (س ١٠) ماذا قَالَ صَاحِبُ «اللَّحِيَّةِ الزَّرْقَاءِ» لِزَوْجَتِهِ: «نَجَاةً»، حِينَ عَلِمَ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ؟
- (س ١١) لماذا اسْتَمَهَلَتْ «نَجَاةً» زَوْجَهَا فِي تَنْفِيذِ العُقُوبَةِ؟
- (س ١٢) ماذا تَمَنَّتْ «نَجَاةً» مِنْ حُضُورِ أَخَوَيْهَا: «رِجَاءً» و«ضِيَاءً»؟
- (س ١٣) ماذا رَأَتْ «نَجَاةً» مِنْ شُرْفَةِ البُرْجِ، وَهِيَ تَرْتَقِبُ حُضُورَ أَخَوَيْهَا؟
- (س ١٤) ماذا قَالَتْ «نَجَاةً» لِأَخَوَيْهَا، وَهِيَ يُحَاسِبَانِهَا عَلَى مَا فَعَلَتْ؟
- (س ١٥) بِمَاذَا تَعَهَّدَتْ «نَجَاةً» أَمَامَ الأُسْرَةِ فِي مُسْتَقْبَلِ حَيَاتِهَا؟